القضايا الأنثوية في الأدب النيجيري العربي:"انتقام"
لحامد محمود إبراهيم الهجري نموذجا

Femininity Issues in Nigerian Arab Literature: "Revenge"
by Hamid Mahmoud Ibrahim Al-Hijri as a Model

إعداد

د. جامع محمد يونس

Dr. Gamea Muhammad Yunus

قسم العربية والفرنسية - جامعة ولاية كوارا – مَلَيْتَيْ

Doi: 10.21608/jnal.2023.309226

استلام البحث ٢٥ / ٤ / ٢٠٢٣

قبول النشر ١٧ / ٥ / ٢٠٢٣

يونس، جامع محمد (٢٠٢٣). القضايا الأنثوية في الأدب النيجيري العربي:"انتقام" لحامد محمود إبراهيم الهجري نموذجا. ***مجلة الناطقين بغير اللغة العربية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦(١٨) يوليو، ٦١ – ٧٤.

http://jnal.journals.ekb.eg

القضايا الأنثوية في الأدب النيجيري العربي: "انتقام" لحامد محمود إبراهيم الهجري نموذجا

المستَخلص :

العمل الإبداعي الأدبي مجالٌ يتنافس فيه الرجال والنساء على السواء من حيث إنشائه ومن ناحية كون أي الجنسين محور العمل، وإذا الكفة تترجح لجنس دون آخر فذلك يعني عدم التوازن. ولذا يحتلّ النقاش عن القضايا الأنثوية مكان اهتمام الدارسين في الأدب العالمي حاليا. والنثر الأدبي العربي في نيجيريا لم يكن يعطي الإناث عناية يستحقنها في المؤلفات ومناقشاته مما قد يُحدِث التهمة أن الكتّاب بالعربية يضعون النساء وقضاياهن في الهامش قصدا. ولكن للمرة الأولى جعل الروائي النيجيري، حامد محمود إبراهيم الهجري، النساء وأمورهن تحتلّ مكانة الصدارة في قصته هذه المعنونة بـ(**انتقام**)، والقصة مبادرة دقيقة يترآى من خلالها للقراء ما يتجشمه النساء من الشدائد وما يتكابدنه من التضحيّات نحو إبقاء إنسانيّتهن في المجتمع النيجيري. تسعى هذه المقالة إلى عرض وتحليل القصة تحليلا أدبيا يتّضح من خلاله التفرغ التام الذي أولاه الروائي لمسائل الإناث في عمله هذا. توظف هذه الدراسة المنهجي الإستقرائي والوصفي لعرض واكتشاف ما يواجه الإناث من التحديّات الشديدة التي تكبل سيرهن نحو الحرية التامة التي يدعو إليها الأدب العالمي الحديث. ومن نتائج هذه الدراسة أن إحراز النجاح في الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في متناول الإناث إذا أقبلن بجد مناسب على إزالة العراقل التي تصدهن نحو التغلب على المشاكل، كما أنّ هناك حاجة ماسة إلى أن يزيد كتاب الأدب النيجيري المكتوب باللغة العربية في مسايرة ركب التوجيه المعاصر ووضع أعمالهم متساوية مع الآداب العالمية الحديث من حيث المضمون والأسلوب.

Abstract:

Literary creative work is a field in which men and women alike compete in terms of its creation and in terms of either gender being the focus of the work. Therefore, the discussion of female issues occupies a place of interest for scholars in world literature today. The Arabic literary prose in Nigeria did not give females the attention they deserve in the literature and its discussions, which may lead to the accusation that the writers in Arabic intentionally put women and their issues in the margins. But for the first time, the Nigerian novelist, Hamid Mahmoud Ibrahim al-Hijri, made women and their affairs take center stage in his story entitled “Revenge.” This article seeks to present and analyze the story in a literary way, through which the complete devotion that the novelist gave to female issues in his work

becomes clear. This study employs the inductive and descriptive methodology to present and discover the severe challenges facing females that hinder their path towards the complete freedom called for by modern world literature. One of the results of this study is that achieving success in economic and social crises is within the reach of females if they accept diligently and appropriately to remove the obstacles that prevent them from overcoming problems.

مقدمة

تشكل الإناث جزءا جذريا في تكوين المجتمع الإنساني ويحتلن مكانا أساسيا في جميع حركات اجتماعية من أيّ نوع، ومعنى هذا أنّ الاهتمام بأمورهن لازم أن يتجاوز المنزلة الإضافية التي يُعثر عليها في أعمال أدبية نيجيرية باللغة العربية. صحيح أنّ الأدب النيجيري باللغة العربية يحمل لنا عديدا من قضايا تمس الإناث إلا أنّ أغلبية ما طرقه الكتّاب عنهن كان في الشعر وندر ما تحتل قضاياهن مكانة رئيسية في أعمال إبداعية نثرية. ولا يكون مقبولا أن يُسنَد إهمالُ الاعتناء بأمورهن إلى الإسلام لأنّه بريئ من التهمة براءة الذئب من دم بن يعقوب، ويكفي تخصيص سورة للنساء في التنزيل الحكيم تنويها بأهمية شؤونهن، ولعلّ قلّة المقبلات على دراسة وكتابة أدبيّة باللغة العربية مما تحول دون ارتفاع أمورهن إلى الأمام في المؤلفات الأدبية النثرية كما أنّ التركيز-من قِبل الكتّاب- على قضايا اجتماعية أخرى تثير اللامبلاة بأمور أنثوية. وبما أنّ "... الأدب-مهما كان نوعه ولغته-يظل عاملا أساسيا وقويا في تطور المجتمع؛ لأنه (الأدب) ينبع من أفراد المجتمع إلى الأعوام، فللأدب وظائف كثيرة، وأهمها كونه يهتم بمعالجة قضايا الإنسان وبتحقيق أهداف الأمة ويسعى لإصلاح ما فسد في المجتمع وغير ذلك."[1] هذا، وبأنّ خطر قضاياهن أخذ يعظم قد جعلت أعمال إبداعية نثرية تصطبغ بالنقاش حول شؤونهن. هذا، ومحاور الدراسة على الترتيب التالي :نبذة عن الكاتب، وعرض للقصة، ودراسة القضايا الأنثوية في القصة، وبعض اللبنات القصصية، ثم الملحوظات وخاتمة.

نبذة عن كاتب القصة

هو حامد محمود إبراهيم الهجري، وقد ولد في أَيِغَوْرَوْ بحكومة محليّة إلورن الشرقية عام ١٩٧٦م، وهذه القرية تبعد من إلورن عاصمة ولاية كوارا بحوالي خمسين كليومترا. تربى تحت رعاية والده الذي لقّنه القرآن ومبادئ العلوم الإسلامية، التحق بمدرسة دار العلوم بإلورن والتحق بعدها بدار الهجرة في مدينة كَنَوْ. أتمّ الدراسة الإعدادية والثانوية في دار الهجرة بكنو فيما بين ١٩٩٣م و١٩٩٨م. وارتحل إلى جمهورية تشاد عام ١٩٩٩م حيث التحق بكلية العربية والإسلامية المنتسبة إلى جمعية الدعوة الإسلامية العربية بليبيا، ومنها حصل على الليسانس عام

٢٠٠٣م بتقدير ممتاز، ونال شهادة الدبلوم العالي والماجستير في كلية الدعوة الإسلامية ليبيا عام ٢٠٠٤م و٢٠٠٧م وحصل على الدكتوراه بجامعة التضامن الفرنسية العربية بجمهورية النيجر عام ٢٠٢٠م. وبعد رجوعه إلى الوطن عام ٢٠٠٧م خدم الوطن في ولاية غَوْمبَيْ وهو حاليًّا محاضر في كلية أَدَمُ أَوْغِي للتربية بأَرْغُنْغُ في ولاية كَيْبِي.[٣]

عرض للقصة "انتقام"

يتركّز الحوار الجوهري في القصة على تُنْدَيْTúndé ومخطوبته رَونْكَيRónkẹ́ التي كانت تتعلّم الخياطة حين لقيها خطيبها في القرية وهو يخدم الوطن، تفرغت رونكي للعلاقة وكرّست لها كلّ ما لديها من وسع رغم إباء قومها لما بين المحبين-كما أعربت عن ذلك بَوْلَا شقيقة كبيرة لرونكي- ولكنّ تندي يكيلها الغدر والخيانة. وقد بلغ صفاء الحب برونكي إلى أن أجهضت ستّ مرات حتى أنّ الطبيب نصح تندي آخر المرة أنّ رحم شريكته لن يصلح مستقبلا للحمل! أخفى تندي عن مخطوبته هذا السرّ وتمادى في الحفظ بها تحت سقفه ويبحث لها بديلا في آن واحد متى ما سنحت الظروف.

لم يظفر تندي بالتوظيف عقب خدمة الوطن، ولم يجد إلا عمل حراسة البوابة بشركة. زار كاهنا في قريته وحدس له مستقبلا باهرا وأخبر أنّ امرأة قريبة منه قرب حبل الوريد للعنق ذات حظ سعيد ستفوق شهرتها ما قد يكون لتندي في المستقبل وستكون أكبر سعادة منه، ولازم أن يحتفظ بها ليتستغلّ حظها لصالح نفسه، ومن هذا التوّ شرع يدبّر مكائد لتحقيق ما خمنه الكاهن. وزيادة على ذلك أنّه قد وقع في فخ كِيكَيْ Kíkẹ́ التي تبيع ليمون في شركة عمله، وعلى رغم التحذير له من إسحاق- صديقه الوحيد في ليغوس- ضدّ العلاقة الودية الجديدة لم يرعو تندي من الانغماس في التيار الحبي الجارف مع كيكي التي تكنّ غرض انتهاز الفرصة لابتزازه فقط.

سبق أن لَهْو الصبا بين تندي وبَوْسَيBọ́sẹ̀ في قرية ولادته قد أورطه في شبكة شبيهة بهدنة الزواج مع هذه الفتاة من أيامهما الريفيّة ولما اكتشفت أنّه يُظِلّ فتاة في بيته باسم الزواج صممت على الانتقام من التي تنتزع منها الإناء وتُلزِم تندي على الرجوع إليها. نفّذت بوسي عزمها بتسيير صديقاتها إلى منزل خطيبها على غيابه ولقّنت رونكي درسا شنيعا بضرب كاد أن يقضي عليها لولا تدخل المجاورين وأختها بَوْلَا Bọ́lá التي صادفت الحادثة وذهبت بها إلى بيتها.

ظفر تندي بالتوظيف بعد مغادرة رونكي واحتسب ذلك مصداقا لقول الكاهن كما اعتقد أنها المرأة التي تسكن معه السقف وتحول دون سعادته لنحسها. أصبح ذا منصب مرموق ووفّرت له الشركة جميع الرفاهية التي تناسب منصبه مما في ذلك سيارة فاخمة. توطدت العلاقة بين كيكي وحبيبها واستولت عليه في جميع تصرفاته حتى اقترحت عليه إقامة حفلة وليمة تهنيئا لنيل التوظيف وخطّطت ودبّرت. ولما كان يوم الحفلة فإذا بوسي ظهرت وصديقاتها وانقلبت الأمور وتغيرت الظروف وحدثت

فتنة وافترق الحضور شذر مذر، بلغ الحزن بكيكي حده حتى عزمت هي نفسها على الانتقام.

اسودت الحياة لرونكي وانقلب الجوّ لها حالكا وآثرت اللجوء إلى الدعارة والمجون وكان ذلك بعد محاولتها الاتّصال بتندي لتكاشفها عن رؤيا خطيرة مفزعة رأتها له ولكن بعد وصولها إلى منزل تندي الجديد وجدت بوسي التي لذعتها ببذاءة لسانها لذعا شديدا. لم يتوقف الأمر على السبّ بل كاشفتها الأسرار المحزنة التي كان يكتمها عنها تندي وهي أنّ رحمها قد فسد بعد اجهاضها الأخير ولن يصلح للحمل وأنّها ستبقى عقيما طول حياتها. ومن هنا صممت هي نفسها على أن تنتقم من تندي مهما يكلّفها ذلك من عناء.

اتّصلت فعلا بإحدى الفنادق التي توفّر بيتا للدعارة تحت رئاسة آنسة غريس وبدأت تصطاد الزبائن لكنّ الحظ سادها إلى رجل اسمه عبد الصبور الذي لم يكن همه من ارتياد الفندق الفحش والفساد واستطاع بعد ملاطفة وإظهار محبة عذرية حقيقية أن يردّها إلى السداد وطمأنها أنّه خير لها أن تبذل جهودها في إحراز مستقبلا سعيدا أكثر من أن يسعى وراء الانتقام من حبيبها الأول. ذهب بها إلى الشيخ الرباني عبد المحسن الذي أمّنها من خوف العقم وبشّرها بمستقبل باهر. في جميع هذه الأوقات جعل عبد الصبور يخطط لها خططا إيجابية نحو السعادة وأوجهها إلى لندن لمزيد التربية في مهنة الخياطة ومول المشروع، وأصبحت بعد العودة مشهورة بين الأعيان لمهارتها وجودة أعمالها. وقد عزم عبد الصبور أنّه سيزوجها بابنه نجيب الذي كان يدرس في انجلترا.

سعدت رَوْنكَيْ حقا إذ تزوجت بنجيب الذي أصبح حاكم الولاية إثر الفوز في الانتخاب. وقد تقلب ظهر المجن لتُنْدَيْ الذي صار تعسا مفلسا بعد أن أُفصِل عن العمل لسبب فساده في الوظيفة. تعرّف على تحسّن حال مخطوبته المظلومة أولا في الإعلان الصحفي واندهش حقا، لكنّه بدلا من أن يتمنى لها مزيد الخير انصب إلى محاولة إسقاطها من منصبها العالي، وحاول جادّا لكنّ الله سلّم رونكي من جميع مكائده. وقد أكمد فوز رونكي ونجاحها تندي للغاية وصَعُبَ عليه أن يراها بهذا الفوز والارتقاء، ولم يكفّ عن مؤامراته ضدّها حتى صدمته السيارة وهو في تفكير عميق عن خطوة سيّئة أخرى. وبالصدمة أصبح طريح الفراش في إحدى مستشفيات الحكومة حيث قيل إنّه ربما يحتاج إلى عملية جراحية في عموده الفقري الذي انكسر. وفي إحدى عياداتها الرسمية للمستشفيات التقت بإِيَابَوْ Ìyábò التي أخبرتها أن زوجها من المرضى وقادتها إلى الجناح الذي يستشفى فيه تندي. ويا عجبها لرؤيته ودهشته هو بدوره من هذه المصادفة! ومفاجئة أخرى أنّ الكاهن الذي حذره على امرأة نحيسة تحت ظله جاء لعيادته، وهنا طلب تندي إلى إيابو بالخروج ليخلو لهم الجوّ للمناقشة مع السيّدة الأولى في الولاية. ووجّه تندي الكلام إلى الكاهن أنّ هذه السيّدة هي التي أشرتَ إليّ بتخلص منها لأفوز بمستقبل باهر وردّ الكاهن أنّه لم يشر إليه بالتخلص

منها وأنّ مجرد ما قال هو أن يحتفظ بها تحت ظلّه لأنّ بقاءها تحت ملكه خير كل الخير عاجلا وآجلا.

دراسة القضايا الأنثوية في القصة

الأديب ضمير المجتمع ونبضاتُه دائما تتعلق بحوادث مجتمعه، ولذا يجد نفسه مكلفا بعرض ما يجري سواء قصد ذلك أم لا، وهذا مصداق ما قاله طه حسين من أن الأديب"... لا يحس لنفسه، وإنما يحس للناس، وهو لا يشعر لنفسه وإنما يشعر للناس، وهو لا يفكر لنفسه وإنما يفكر للناس."[٣] وبمقدور أيّ أديب أن يناقش أيّ موضوع في عمله وليس لازما أن يكون الكلام عن الإناث وتحديّاتهن يأتي من جنسهن بل إنّ الأديب الأنثوي هو "رجل أو امرأة تعترف أنّ هناك مشكلة تمس جنسية الإناث كما هو اليوم ولازم أن نحلها،..."[٤] والحوادث التي استرعى انتباه هذا الروائي في قصته هذه هي القضايا الأنثوية التي ندر عرضها في الإنتاج الأدبي العربي في نيجيريا، هذا وتتناول هذه المقالة بعض القضايا واحدا تلو آخر في السطور التالية.

العنف المنزلي

مما يثقّل كاهل النساء في المجتمع النيجيري هو حملهن على إنجاز واجبات لا يُتَوقع عبؤها عليهن. إنّ المجتمع الذي تعكسه القصة مجتمع يورباوي والعادة الموروثة عندهم كما يتضمنه مَثلهم القومي أنّ النفقة على الأسرة، مسئولية تلزم الزوج، وهذا عينُ ما يأمر به القرآن إذ يقول "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم".[٥] لكنّ تندي-خلاف ما توارث عليه- يتخلى عن واجباته وينيخها على خطيبته وهذا بداية العنف المنزلي ضدهن، ويتجلّى هذا بكلّ وضوح حين اشتكت رَوْنكَيْ عدم وفرة الطعام في البيت كما في الحوار التالي بينهما:

"-كأنّكَ مستعدّ للخروج؟

-كما رأيتِ، ماذا هناك؟

- ليس في البيت ما نسدّ به الرمق!

- وأنتِ تعرفين الظروف التي نعيش في نيجيريا اليوم، الرواتب لا تسدّ الحاجات، والأسعار مرتفعة، ولم يرتفع الراتب. بالله عليك دبّري أمرك، لعلّ الله يأتي بالفتح أو أمر من عنده."[٦]

وهذا حقيقة ظروف الكثير من بيوت زوجية بهذه البلاد، وضحايا هذه الأحوال دائما النساء. وإنّ الحوار المعروض أعلاه لتصوير ناصع لما تتعرض له النساء ولا يعطيه المجتمع الأهمية والعناية والرجال يتحيّلون في الخروج من المأزق بأعذار تبرءهم من اللوم معتمدين على الأزمات الاقتصادية التي لا تزايل المجتمع.

الوفاء بالحبّ

من قضاياهن التي تعكسها القصة وفاءهن في الحبّ لأنّه كثيرا ما يتعرضن للاضطهاد وعدم المبالاة بمصالحهن من قبل رجالهن لكنّهن دائما يخفين المشقات

والأضرار عن أهلهن وفاء للحب. والرجال في أغلب الأحايين يرون أن الخضوع التام لأوامرهم مقضيٌّ عليهن على أيّ حال، وهذا ما يترآى للعيان في الحلقة الثالثة من القصة في عرض حال رَوْنكَيْ من أنّها كانت: "منذ أن تركتها أختها تجهش في البكاء، رأت كأن حياتها تتحول إلى جحيم لا يطاق، فقدت الثقة والعناية من أسرتها بسبب عنادها على البقاء مع هذا الخطيب، وخسرت الاعتناء والمحبة التي تعشقها من هذا الحبيب أيضا، تعيش في عالم مجهول المصير، لا هي تُحترَم في أسرتها ولا هي تُدلَّل عند خطيبها..."[٧] وقد سبق دفاعها عن حبيبها في الحلقة الأولى حين وجدتها أختها بولا تبكي وشرعت تؤنبها على اختيارها وإصرارها على البقاء مع رجل لا يرى لها احتراما من أيّ نوع، وتقول القصة إن رونكي: "حاولت...أن تشرح لأختها براءة حبيبها من هذه التهمة..."[٨] ومواقف عزمها على البقاء معه رغم التحقير والتعذيب وفاء لحبّها لتندي كثيرة في القصة وهذا من طبيعة الإناث إلا إذا تطرّفت الظروف إلى أسوإ حالا لا تطاق!

شدة المنافسة بينهن على الرجال

من أبرز ما يواجههن التنافس على الرجال، الأمر الذي يؤدي في أحايين كثيرة إلى ما لا يُحمَد عقباه. تنشأ المنافسة أحيانا من غيرة بين ضرائر، ولا يلام مثل هذا طبعا على المجتمع، لكنّ النوع الذي يتبدى لقارئ هذه القصة إنّما نشأ من تضييع الرجال بشعور النساء وتجريح عواطفهن واتخاذهن ألعوبة يُستَمتَع بها ثم تُرمى! وقد عامل تُندي فتاة اسمها بَوْسَيْ معاملة سيّئة إذ غدر بها ناسيا مابينهما من المعاهدة، وجعلتها هذه المعاملة مصرة على انتقام من رَوْنكَيْ أو أيّ فتاة اختارها شابُها. وذهبت تنفّذ وعيدها هذا بهجوم رَوْنكي التي تراها مغتصبة لخطيبها، اصطحبت معها صديقتيها وأذقن رونكي ضربا وإذاية، وعن هذا تقول القصة: "هذه بوسي صديقة تندي منذ الطفولة، وقد تواعدته واشتدت عري العلاقة بينهما، وهي التي تعرفها الأسرة زوجةً مستقبلية لتندي، وإنما كانت في انتظار عودته من الخدمة الوطنية ويكمل إجراءات الزواج وتكون زوجة رسمية له، لكن الرجل لم يلفت إليها..."[٩]

هذا وقد أرسلت بوسي الشتائم والكلمات البذيئة قائلة: "أنت مجرمة وغبية، تظنيين أنه بإمكانك اختطاف حبيبي تندي مني، قد بحثت عنك لفترة طويلة وأدركت أنك مختبئة في هذا الكوخ الذي تظنينه بيتا، يا عاهرة يا بدوية يا فاشلة، اتركي لي حبيبي، ولن يتزوج إلا بي أنا، أفهمت أيّتها المجنونة؟"[١٠] حدث كل هذا وتندي غائب من البيت ولولا أنّ أختها الكبيرة بَوْلا جاءت زائرة لها مباشرة إثر الهجوم لكانت ممسوحة من صفحة الحياة.

وهذا المشهد نفسه في الحلقة السابعة عندما حضر جماعة لحفلة التهنئة على إثر تعيينه موظفا كبيرا في الشركة التي كان يعمل فيها حارس البوابة. قد خطت كِيكَيْ للحفلة وحسّنت التنظيم لكن:

لم تكد الحفلة تصل أعماقها حتى دخلت بوسي مع صديقاتها في فوج متموج لافتة للانتباه، وقد كانت أزياؤهن في هذه الألبسة الضيقة المثيرة، مما تثير جنون

الشباب، وتنهب شهوات الرجال، ودخولهن يصادف دعوة مقدم البرنامج المحتفل به أن يتقدم على المنصة ليرقص مع حبيبته، وإذا ببوسي تخرج إلى المنصة قبل وصول تندي بمرافقة كيكي بائعة الليمون، فسرعان ما غليت الدماء وتأججت في عروق كيكي، وهاجت ثم ماجت، ارتعدت فرائسها في زئير وعويل، لكن صديقات بوسي قد أحطن بالمنصة في عدة وعتاد، شاهرات زجاجات مكسورة وسكاكين حادة، فقد بدأت الكراسي تطاير وعلب المشروبات تتحلق في جو القاعة...[١١]

استخدامهن كبش الفداء في صالح الرجال

ومن مؤسفات قضاياهنّ أنّهن لا يتمتعن بحريّة كاملة إلا أن تقترن مصالحهن بما يرضي الرجال وجعلهن هذا الحال كبش الفداء لتتحسن منزلة الرجال وظروفهم بدون أيّ اعتبار لصالحهن، يتّضح هذا بكلّ جلاء في عدم إظهار أيّ تأثير من قبل تندي لما وجد حبيبته قد غادرت البيت وأخبرته الجارة عن الويلات التي لقيت من بوسي وصديقتيها اللّاتي هجمنها كما لم يزعجه ما أنزلن عليها من الإهانة والشتائم بل مجرد ما اعتنى به هو ما سوف يكون مصيره بغياب رَوْنكَيْ وأنّها انفلتت من يديه وتخلصت من الاستغلال يكنّه إزاءها موافقا لما أخبره الكاهن عن مستقبلها الباهر الذي صمم أن ينتزعه في صالح نفسه.

ولهذا رأيناه لم يبال بظروف خطيبته "ولم يعلق على أخبار الجارة سوى كلمات مقتضبة، وإنما هرول إلى الداخل ليبحث عن تلك العقدة التي أعطاه إيّاها الكاهن لينفث فيها في وقت تلو آخر ويربط بها خيرات رونكي ويسلب إرادتها ويستولى على مستقبلها..." وساقه خوف فقدان العقدة إلى الكاهن مرة أخرى ووعده الكاهن "...أنّه سيساعده اليوم ليخرج من هذا الفقر المدقع الذي ألمّ به، ويسلب له جميع الخيرات التي حملتها خطيبته إلى هذه الدنيا، وفرح فرحا شديدا، بهذا النبأ الجميل."[١٢]

صيرورتهن خدم المنزل

بلغت السيطرة على النساء من قبل أزواجهن حتى أصبح عسيرا بمكان التمييز بين الزوجات وخدم المنزل لأنّهن (الزوجات) يجمعن الدورين لاسيما في أسر فقيرة أو متوسطة، وتكون الظروف أسوأ في إذا ما يضمر الرجل لامرأته نوعا من البغض. ولا تتجلى هذه القساوة التي يمررن بها إلا إذا دعت الحال إلى فقدان الزوجة لسبب أو آخر، وهذا ما يطالعنا في السطور الآتية من القصة: "استيقظ تندي متأخرا في الصباح، وقد غابت التي تعتني به، تهتم بأمره وشؤونه، إنها تراقب ساعات خروجه إلى الوظيفة، ترتب لباسه، بعد الغسل والتكوية، تضع الماء في الحمام قبل أن توقظه للاستحمام، تنظف البيت وتشرف على ترتيب الأدوات المنزلية وتجهيز الطعام.

إنه وحده يقوم بما يمكن القيام به بعد اليوم، ليذوق مرارة الوحدة وشقاوة الانفراد."[١٣]

ومع جميع هذه التضحيات لم يقدر تندي حبيبته ولا يرى لها أيّ استحقاق للمعاملة الحسنة بل دائما يقابلها بالبرودة حينا والتحقير والإهانة حينا آخرا.

الفرار إلى الدعارة

هذا، وإنّ رقة أنثوية والضعف إزاء التحديات قد تفضي بهن إلى ارتكاب المكاره من الأخلاق والتصرفات وهذا ما حدث فعلا لرونكي إذ أدّى بها اليأس وحزن عميق إلى محاولة التهور حين صممت على الدعارة. إنّ مكاشفة بوسي لها بأسرار كتمها عنها تندي من عدم صلاحية رحمها للحمل-بعد إجهاضها السادس-صعقة لم تفق منها بالسهولة. لا يكون من الانصاف أن يلوم أحدٌ رونكي على هذه الخطوة الخطيرة نظرا إلى ما مرّت به من محاولة اغتيالها من قبل تندي لأسباب لا تعرفها بعد ومن الظروف الاجتماعية التي لا ترى أحقية تأنيب الرجال فضلا عن عقابهم في تصرفاتهم القاسية مع النساء! خطت الخطوة وصممت على الانتقال لعلّ ذلك يدمل بعض الجروحات النفسية ويخفف الوطآت المؤلمة التي قد تجشمتها، وقد أعربت جميع خبراتها بكل تفاصيلها للسيّدة غريس.[١٤]

كثرة الاختلاف إلى الكهنة

إنّ سوق الكهنة تنال رواجا منقطع النظير بين النساء، وهذا من أهم القضايا التي تعرضها القصة وذلك أنه كثيرا ما يختلفن إلى العرافين طالبات حلا لأيّ أمر حلّ بهن سواءً أ كان الأمر تافها أم لا. اتّضح هذا عندما ذهبت رَوْنكَيْ إلى كاهن في قرية على إشارة رحمة-صديقتها القديمة- طالبة الانتقام من تندي، وكما زارت القسيس الذي أشار أنّ الحلّ الوحيد لأزماتها هو التعميد. قبلت اقتراح القسيس وذهبت فعلا للتعميد لكنّها اكتشفت أنّ القصيص يحتال انتهاز الفرصة للنيل منها![١٥] والمواقف مثل هذا كثيرة في القصة.

بعض اللبنات القصصية

وتنظر الدراسة في الصفحات التالية إلى بعض اللبنات التي انبني عليها العمل المدروس، والأعمدة المتناولة للنظر هي الحادثة والبيئة والأسلوب وذلك لتقريب مدى نجاح الروائي في سرده.

الحادثة

مجرد تخلّي تندي من ضروراته كزوج أو خطيب وإظهاره عدم المبالاة بظروف حرجة وجدت امرأته نفسها فيها لحادثةٌ تشير من أول وهلة إلى أنّ القصة تحبك السرد على خطورة حال الإناث في المجتمع. وهل يعني هذا أنّ الحادثة هي العنصر السائدة في القصة؟ طبعا لا، لكنّها تنبئ أنّ الحوادث تكون أكثر مساعدٍ في عرض وفهم تصرفات الشخصيات التي أحيطت الحبكة حولها. ويبدو أنّ جودة الكاتب في "القدرة على اختراع الحوادث، وتلفيق المواقف..." مع قدرته على "...استبطان الشخصية الإنسانيّة، والتعمق إلى أبعد قراراتها"[١٦] تجعل سرده شيّقا وأكثر تعلقا في ذاكرة القارئ في آن واحد. ويتجلى بكلّ وضوح أن براعة الكاتب في ربط الحوادث تجعل متابعة القصة من البداية إلى نهايتها ممتعة كما تجعل شخصيات القصة ثابتة في

صدر القارئ خصوصا الشخصيات الرئيسة. ولذا نرى القصة تتركّز على تلاؤم سرد الحوادث وعرض الشخصيات عرضا شفافا يحرز للقصة نجاحا.

الجوّ العام (البيئة)

وهو البيئة الطبيعية أو المجال الاجتماعي وذلك لأنّ القصة "ليست الحكاية معزولة من مجالها الطبيعي والاجتماعي، ولا وجود كذلك في المجتمع لأفراد معزولين. وإنما يستلزم في تصوير موقفهم-موضوعيا-أن ينظر إليهم مرتبطين أشد رباط بمجتمع خاص في فترة معينة وبيئة طبيعية خاصة،..."[١٧] تكون متابعة السرد القصصي وفهم مضمون القصة في متناول القارئ متى ما استطاع الكاتب أن ينشئ ألفة طبيعية في حُلّة اجتماعية طبيعية، ومقدرته على خلق جوٍّ طبيعي تجعل القارئ مندمجا في القصة والعمل شيّقا رائعا ممتعا لأنّه حينئذٍ لا يبدو مكلفا. والمجال الاجتماعي الذي تعكسه **انتقام** بيئة إنسانيّة مألوفة والقارئ إزاءها في جوّ طبيعيّ وخاصة في عالم الأدب المعاصر الذي يتناول قضايا أنثوية بكلّ جدّ وعنايةٍ.

الأسلوب

الأسلوب هو خاصية يتميز بها كاتب عن غيره من الكتاب، وفي القصة هو "الأسلوب الفني، أو طريقة العرض التي ترتب الحوادث في مواضعها، وتحرك الشخصيات في مجالها، بحيث يشعر القارئ أن هذه حياة حقيقية تجري، وحوادث حقيقية تقع، وشخصيات حقيقية تعيش،..."[١٨] ومن جميع الطرق التي في متناول القاص أن يستخدمها تنظر هذه المقالة إلى اثنتين فقط لأهميتهما في تقريب جوّ القصة وتشويقها إلى القراء في نيجيريا وهما:

- **التصوير**: عرض بيئة القصة أو الرواية عرضا واضحا مما يلزم الكاتب أن يفطن إليها مبدئيا لأن ذلك يجعل عمله سهل المتابعة رائع القراءة. وقد أجاد الكاتب التصوير من أول الوهلة إذ قال في بداية الحلقة الأولى:

كانت غرفة متواضعة، يقبع في الجانب الأيسر منها سرير منخفض كأنّ عليه حفرة مصطنعة من طول العهد به، أو كثرة الاستلقاء، أو قلة الجودة. وعلى الجانب الأيمن من الغرفة دولاب صغير أكل عليه الدهر وشرب، يوضع فيه بعض الملابس والحاجات الخاصة. وأدوات الطهي مبعثرة في ثنايا الصالة من هنا وهناك، ... التلفزيون من الطراز القديم ذو اللونين: الأبيض والأسود. وفي الطابق الأرضي جهاز فيديو ذو شريط مربع. وعلى أرضية الصالة مفروش مطاطي لامع يخلب المدقق النظر إلى جماله، وعليه كراسي قديمة متهالكة ينغمس الجالس عليه كأنه ينزلق.[١٩]

ومن هذا العرض يدرك القارئ أنّ الحوادث في القصة تدور حول أسرة فقيرة وأنّ الشخصيات التي تجري عنها الحوادث والحوار أفراد الطبقة الاجتماعية المنخفضة التي تستخدم التلفزيون ذا اللونين في هذا العصر.

- **اللون المحلي:** إنّ القاص التجأ إلى استعمال طرق متنوعة لتقريب عمله إلى القراء النيجيريين وتشويقهم إلى متابعة سرده ومن أشهر ما استخدم هو إفعام

القصة بأمثال محلية يوربوية، ومن ذلك قوله في صفحة ٢٣ عندما يصور جمال تندي: "إنه الرجل الذي التقت به امرأة في نهيرة، وأخرجت صابونا لتشرف على استحمامه، ثم تقسم بحياتها على أنه إن لم يكن لها زوجا فسيكون لها عشيقا." وقال في صفحة ٣١: "أليست حادثات الدهر التي تركت الجدران أطلالا، هي التي مهدت الطريق للشاة أن تقفز عليها في مرح ودعابة؟" وهذا حين تؤنب رونكي أختها الكبرى على مكثها عند تندي.

والأمثال من النوع المعروض كثيرة في القصة وقد أشعر القراء النيجيريين أنّهم يقرأون عن قضايا تمسهم لأنّ الشخوص في القصة ليست غريبة كما أنّ الأمثال تدني إليهم الحوادث وتجعلها أكثر وضوحا وتشوقهم على متابعة السرد من أوله إلى النهاية.

ملحوظات على القصة

إن القصة-فيما أعلم -أول نوعها في الإقبال على قضايا الإناث إقبالا كليّا من حيث عرض تحديّات عاطفيّة وتعذيبات متنوعة يتكابدها النساء، وإنّها الأولى من أعمال إبداعيّة نثريّة في الأدب النيجيري المكتوب باللغة العربيّة. ولكن مع قيمة العمل فنيّة واجتماعيّة يوخذ عليه بعض ملحوظات لا تنقص شيئا من قيمته تذكر هذه المقالة اثنتين من الملحوظات.

- **سلطة الرجال:** وذلك لأنّ رونكي لم تحرز الغلبة على التحديّات ولم تحصل على النجاح إلا بمساعدة السيد عبد الصبور الذي تحمّل مسئولية تغيير سيرها في الحياة. يفضّل المشتغلون بقضايا أنثوية أن تسلك طريقا متستقلا في احراز نجاتها من براثن تندى ونجاحها في الحياة. ولعل ما أفضى بالكاتب إلى هذه الخطة خلفيته الدينيّة.
- **الغموض في بعض السرد**

هناك نوع من الغموض في سرد شئون رونكي وذلك في ما يتعلق بتعلّمها، فإنّ الكاتب قال عنها في الصفحة العاشرة:"...لم تواصل دراستها للجامعة جريا وراء حبها المخلص لتندي، قررت البقاء معه مهما كانت الظروف،..." ثم قال في الصفحة الثامنة عشر:" ولم تزل رونكي في الثانوية حين لبت أمها أيضا نداء ربّها صبيحة يوم مشؤوم، وهكذا لجأت إلى تعليم الخياطة حيث التقى بها تندي." يترك السرد هنا القارئ في ظلمة عن هل أكملت رونكي دراسة ثانوية أم لا قبل انضمامها إلى تعلم الخياطة.

الخاتمة:

هذه الجولة السريعة مع حامد الهجري في قصته **انتقام** تبدي لنا مدى اهتمام الكتاب النيجيريين باللغة العربية بعرض الأعمال الإبداعية الأدبية النثرية عرضا يناسب ذوق القراء ويدني الجوّ الأدبي إلى إدراكهم بتناول مضامين أعمالهم المستقاة من وسطهم المحلي. والقصة تعكاس قضايا أنثوية بما يتكابدن من عدم الانصاف لهن في أمور منزلية كما لا يعطي المجتمع مبالاة كافية لشؤونهن. ويضاف إلى ذلك تركُ المجتمع تحسين حالهن على العزم منهن ومصادفتهن للقدر الميمون. وقد أجاد القاص

التقنيات الفنيّة والتحليلات الاجتماعية لعرض القضايا كما أبرز الدقة في فهم سيكولية النساء في العمل وأتى بقصة طريفة رائعة ممتعة. والقصة مصداق قول عباقرة الأدب العرب النيجيري إذ يقول: "...إن الأدب النيجيري المكتوب باللغة العربية أدب يصور الحياة والبيئة النيجيرية في شتى جوانبها،..."[٢٠] والعمل الإبداعي من هذا النوع هو التمثيل الحي لنصيحة مرتضى بدماصي قائلا: "وليس هناك ما يمنع الكاتب النيجيري من اتخاذ الرواية في إطار الأدب العربي أداة لتبليغ رسالته السامية. وفي الواقع أن القضايا السياسية والدينية الراهنة تطالب – بإلحاح – الكاتب العربي النيجيري باتخاذ عدة أدوات ممكنة وصولا إلى غايته"، وواصل النصيحة وهو يقول: "نطالب أستاذ اللغة العربية بأن يتدرب على كتابة الرواية متخذا موضوعاته من القضايا الجارية..."[٢١]

هوامش

[١] كاتبي، عبد الرزاق محمد، **المرآة في الأدب العربي في نيجيريا**، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م، ص:٤٦

[٢] جامع، يونس محمد، "مظاهر التآلف في قصة "مأساة الحب" لحامد إبراهيم الهجري"، في

Literature, Integration and Harmony in Northern Nigeria, Ilorin, Nigeria, Kwara State University Press, Malete. 2017, ed. Hamzat I. Abdulraheem et al, p253-268

[٣] طه حسين، **أديب**، القاهرة، دار المعارف، د.ط. ١٩٦٢، ص:٧

[٤] **Amy, Diseye Naasim**

[٥] القرآن الكريم، سورة النساءآية ٣٤

[٦] الهجري، حامد محمود إبراهيم" **انتقام**، القاهرة، دارة نجيبوية المعرفية، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م، ص ٩

[٧] المرجع نفسه، ص: ١٧

[٨] المرجع نفسه، ص:١١

[٩] المرجع نفسهن ص:٢٩

[١٠] المرجع نفسه، ص:٢٩

[١١] المرجع نفسه، ص:٤٤-٤٥

[١٢] المرجع نفسه، ص:٣٤-٣٨

[١٣] المرجع نفسه، ص:٤٠

[١٤] المرجع نفسه، ص:٧٣-٨٩

[١٥] المرجع نفسه، ص:٩٠-١٠١

[١٦] نجم، يوسف، **فن القصة**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٩، ص:١٨

[١٧] هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، مصر، دار نهضة، ٢٠٠٤م، ص:٥٢٣

[١٨] قطب،سيّد، **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الشرعية العاشرة، ٢٠١٠م، ص:٨٨

[١٩] الهجري، حامد محمود إبراهيم" **انتقام**،ص:٨

[٢٠] جمبا، مشهود محمود محمد، **أثر الإسلام والأدب العربيّ في الأدب النيجيري المكتوب**، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص:٧٦

[٢١] بدماصي، مرتضى، **فاعلية اللغة العربية في نيجيريا**، نيجيريا، إِجَبُو أَوْدَيْ، مطبعة شَيْبِأَوْتِمَا، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، ص:٥٢-٦٤